رسالة إلى الجزائريين

الجزائر... نداء استغاثة

صورة وقراءة

هي تلك التي يظهر فيها سبعة من مراهقينا "احرارا وسعداء" بمغادرة الجزائر. في هذا العمر لا نترك الوطن، فماذا نقول عندما نفر منه؟

في غياب وطنٍ يحلو العيش فيه، وطنٍ يحلم الشباب ان لهم مستقبلا فيه، أصبحت الهجرة هي الأفق الوحيد لمجتمعنا، في ظل غياب تام لأي مشروع سياسي لسيستام لا هَمَّ له سوى البقاء في السلطة للسيطرة على الريع النفطي ونهب الثروات وقمع الشعب.

ومن هذه الزاوية، تبدو مغامرة ابنائنا كأنها انجاز او ملحمة.

لكن في الحقيقة هذه الصورة هي صورة فشلنا جميعا. يعبر هذا الفرار عن عجزنا واستسلامنا للواقع وعدم قدرتنا على تغيير سيستام يزرع اللاحياة.

نحن مطالبون اليوم جميعا كجزائريين في هذه اللحظة التاريخية أن نتساءل بصدق: ما هو مصيرنا المشترك كشعبٍ وأمة؟

الجزائر بين صورتين

الجزائر الحالية هي نقيض تامّ للجزائر التي حلم بها آباؤنا في بيان نوفمبر. فجزائر ما بعد الاستعمار اعادت انتاج الاستعمار من جديد.

هناك جزائران تتقابلان اليوم، كما في زمن الاستعمار: جزائر الكولون تمثلها جزائر الجنرالات-السيستام، وجزائر الاهالي تمثلها جزائر الشعب.

"نادي الصنوبر"، رمز السيستام، اصبح مجتمعا موازيا لا يشبه في شيئ الجزائر الحقيقية. هاتان الجزائران تعيشان في رقعة جغرافية واحدة، لكنهما تشكلان عالمين متصادمين: اقلية مسيطرة ومهيمنة، محتكرة لكل الامتيازات، وأغلبية هم المعذبون الجدد في الارض.

لقد حل مُستعمَر الامس محل الكولون، ولكنه عاجز عن انتاج الثروة، ولم يرث منه سوى عقليته المتعالية نزعته للسيطرة واحتقاره للشعب.

ثلاث لحظات تاريخية

لقد عشنا ثلاث لحظات كبرى آمنا فيها بفرحة ان نعيش احرارا في الجزائر والاشتراك في بنائها.

اللحظة الاولى: جويلية 1962

صبيحة الاستقلال حيث عاش الشعب فرحة لا توصف بعد عقود طويلة من المعاناة والقهر، لكن تلك الفرحة انطفأت سريعا بعد ان استولى جناح من الاجنحة المتصارعة على السلطة بالقوة، ومنذ ذلك اليوم سيطرت القوة العسكرية ممثّلة في ذلك الوقت بجيش الحدود وأقصت الشعب.

وبسرقته للاستقلال من الشعب، افتقر هذا السيستام تماما للشرعية الشعبية، معتبرا الشعب تارة كأداة المطلوب منه فقط الانصياع لقائده (الدكتاتور المستنير)، والتي دامت حتى بداية الثمانينات، وتارة أخرى كطفل يجب تربيته وقمعه وتدجينه، وهو ما نعيشه منذ التسعينات.[1]

لكن هذه الاجنحة التي تكونت ابان حرب التحرير ليست متجانسة. علينا الاعتراف بأنه لم يبقَ من ثورتنا المجيدة سوى هذا الصراع الشرس والقاتل بين الاجنحة لخدمة مصالحها.

اللحظة الثانية: أكتوبر 1988

تنفس الشعب من جديد واعتقد حقاً أن جزائر الحريات يمكن تحقيقها. ومرة اخرى اغلق باب الامل ودخلنا في عشرية سوداء كاد ان يباد فيها المجتمع. وتبين لنا فيما بعد ان المايسترو الذي كان يشرف على هذا المشهد هو جناح العربي بلخير الذي يطلق عليه لقب ضباط فرنسا (المنشقون عن الجيش الفرنسي- Les DAF).

اللحظة الثالثة: الحراك الشعبي

هذا الأخير يدخل عامه السابع، مثل حرب التحرير. الحراك طالب بتغيير السيستام، إلا ان هذا الاخير فرض علينا جناحا من اجنحته. الحراك هو الاسم الآخر للفاتح من نوفمبر لأنه يحمل صوت الشعب واحلامه. نوفمبر حقق لنا الاستقلال السياسي (التراب الوطني)، والحراك سيحقق لنا الاستقلال المدني (المواطنة الحقيقية).

ثلاثة حقب للخراب المؤسس

هذا السيستام الذي أسسه جيش الحدود أورثنا ثلاثة حقب[2]: بومدين، الشاذلي، بوتفليقة. هذه الحقب تتكامل فيما بينها وساهمت جميعها في ايصال البلاد الى حالة اللادولة.

تميز عهد بومدين بتمجيد القوة والخشونة والخوف، وتميز عهد الشاذلي بالرداءة والانتهازية والاستمتاع بالحياة[3]، وختمها بوتفليقة بالفساد المالي بكلمته الشهيرة في حملته الانتخابية الاولى "كل رجل يُشترى، انها مسألة ثمن".

ثلاثة عهود. ثلاثة محطات مدمرة للشخصية الجزائرية وللمجتمع. القوة، الجهل، المال: ثالوث الخراب الذي يجسده اليوم الثنائي العسكري-السياسي شنقريحة-تبون.[4]

---

[1] استعير من توما سير تحليله للطبائع الثلاثة للشعب: الشعب-الاداة peuple-objet (الذي عشناه في زمن بومدين)، الشعب- الطفل peuple-enfant الذي نعيشه منذ التسعينات، والشعب- الطبقة peuple-classe الذي يعتبر نفسه ممثلا للمجتمع لانه يحمل قوة التغيير، وهو حال الحراك.

Thomas Serres, *L'Algérie face à la catastrophe suspendue : gérer la crise et blâmer le peuple sous Bouteflika (1999-2014)*, Paris, Karthala, 2019, p. 155.

[2] Mahmoud Senadji, "Algérie: pays du simulacre", *Oumma*, janvier 2009.

[3] ذكر بلعيد عبد السلام في محاضرة ألقاها ببومرداس ان الرئيس الشاذلي بن جديد كان ينصحه رجال يحبون الحياة.

[4] Ali Bensaad, « Dix années de brutalisation des institutions et de déstabilisation de l'Etat », *Médiapart*, 20 septembre 2025.

نداءات لم يستجب لها

شعار "مانيش راضي" كان آخر نداء قدمه الشعب لهذا السيستام لكي ينفتح على المجتمع ويُصلح نفسه. هذا النداء سبقه نداءان آخران في السبعينات والتسعينات.

في عام 1976 قدمت أربع شخصيات تاريخية[5] نداء للخروج من مستنقع الحرب ضد المغرب لانها تتعارض مع تاريخنا ومصيرنا المشترك؛ وفي جانفي 1995 قدمت القوى الحية للمجتمع في "عقد روما"[6] ميثاقا يهدف لبناء جزائر متصالحة وديمقراطية. وفي كل مرة كان السيستام يُدير ظهره للشعب ويتجاهل مطالبه.

المشروع السياسي الوحيد لهذا السيستام هو البقاء ثم البقاء، ولهذا دخل في حرب مفتوحة مع نشطاء الحراك وفي حرب داخلية بين اجهزة المؤسسة العسكرية نفسها، وبهذا اصبح السيستام مختلا؛ وخير دليل على ذلك مستوى اللغة المستعملة من طرف رموز السيستام والمدافعين عنه ومناخ الرعب السائد داخل المؤسسة العسكرية بسبب التطاحن فيما بينهم.

علينا ان نعترف ان الشعب الجزائري على الرغم من تضحياته المبذولة ومعاناته المعاشة وتواضعه ومروءته وكرمه الا انه لم يجد منذ 1962 النخبة التي تستحقه.

أول نوفمبر ثان

"مانيش راضي: 63 سنة بركات" هو شعارنا للفاتح من نوفمبر المقبل. كما حدث في عام 1962 حيث استطاع الشعب بتدخله عبر شعار "سبع سنين بركات" ان يجنب الجزائر حربا داخلية بين الفرقاء، فعليه اليوم ان ينقذ الجزائر من هذا السيستام برفعه بقوة وحزم شعار "63 سنة بركات".

أضعف هذا السيستام بغطرسته واستبداده الجبهة الداخلية. وبالنظر الى المناخ العالمي الراهن الذي يتشكل فيه عالم جديد وواقع جيوسياسي خطير على حدودنا، اضافة الى الحقد الدفين الذي يحمله اولئك الذين لا يزال عندهم حنين الى الجزائر الفرنسية، وهم موجودون على ضفتي البحر المتوسط، فان ذلك كله يجعل شبح سياسة الأرض المحروقة يخيم على الجزائر من جديد.

---

[5] فرحات عباس، بن يوسف بن خدة، حسين لحول والشيخ محمد خير الدين. رافضا أي صوت معارض، أمر بومدين بوضع هذه الشخصيات تحت الاقامة الجبرية.

[6] في جانفي 1995 اجتمعت في روما احزاب سياسية ومنظمة حقوق الانسان لايجاد مخرج للازمة السياسية وأصدرت ميثاقا لقي ترحيبا وصدى ايجابيا في الداخل والخارج، ولكن السيستام رفضه بشكل قطعي على لسان ناطقه الرسمي انذاك، والذي يشغل حاليا منصب وزير الخارجية، ووصفه بعبارة متعالية واحتقارية بانه "لا حدث"، فضيع بذلك على الجزائر فرصة ذهبية لتحقيق مصالحة حقيقية وبناء مجتمع مدني، وأدخل البلاد في حمَّام دم، وانتقم من عبد الحميد مهري وأهانه، مع علمه بمكانته التاريخية، لانه شارك في لقاء روما وآمن بالحوار كطريق للحل السياسي بين الجزائريين.

نحو جزائر بديلة

ان إنقاذ الجزائر من هذا السيستام مهمتنا جميعا. والحِراك هو الحل. انه يجمع القوى الحية للشعب: من سياسيين ونقابيين وحقوقيين وطلاب وجامعيين وعمال وعاطلين عن العمل ونساء ورجال وشيوخ وشباب. ان الحراك هو الشعب الطبقة: فهو لا يحتاج إلى من يمثله لانه في حد ذاته قوة ثورية تحررية، وجميع نشطائه تجمعهم فكرة واحدة هي تغيير السيستام وجعل الارادة الشعبية السلطة السيادية الوحيدة.

لن تستطيع الجزائر الراهنة مواجهة التحديات المقبلة. ان السيستام الراهن يحمل في ذاته عوامل انهيار البلاد، ولهذا يظل الحراك أملنا الوحيد لتأسيس جزائر بديلة.

علينا ان نختار: إما انهيار الجزائر او تأسيسها من جديد. لقد ترك لنا آباؤنا بعد ان دفعوا ثمنا باهظا جزائر موحدة وشعبا متجانسا. مهمتنا اليوم هي أن نكون أوفياء لهذا الارث، ان ننقذه من هذا السيستام ونبني وطنا ينتعش فيه الجميع، ولهذا فعلى جميع العاملين في الجيش والاجهزة الامنية الالتحاق بالشعب والانصهار مع مطالب الحراك.

براديكاليته السلمية، يمثل الحراك مصالحة سياسية وتاريخية لأنه يهدف لتأسيس الجزائر من جديد يصبح فيها الشعب السيد الحقيقي، وذلك لان السيستام اراد منذ عام 1962 بناء دولة باقصاء الشعب، وهذا ما ادى الى تشويه صورة الجزائر والجزائريين.

الجزائر تملكنا. حقا. حان الوقت لتعود إلى شعبها لكي نجعل منها بلدا سيدا. والسيادة لا تنفصل عن العظمة[7].

محمود صنهاجي، ابراهيم قنطور (جزائر الشعب).

[7] هناك من يعتبر اننا لم نحقق من مبادئ نوفمبر سوى السيادة. وأجيبهم: أية سيادة؟ في مواجهة جيراننا؟ نعم. لكن هل نحن قادرون على مواجهة القوى العظمى؟ بلد لا يصنع سلاحه ولا يملك صناعة عسكرية لا يمكن وصفه بأنه ذو سيادة. إيران وتركيا بلدان صاحبا سيادة. الجزائر، لا. ولكن في الدعاية الحكومية والخيال الشعبي، نعم.